مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

دراسات

المحرم ١٤٣٨هـ/ أكتوبر ٢٠١٦م

العلاقات الروسية الإسرائيلية في الشرق الأوسط المعاصر بين الخصوصية والواقعية:

نماذج للواقعية الكلاسيكية الجديدة في نظرية العلاقات الدولية

سيباستيان ماير

العلاقات الروسية الإسرائيلية في الشرق الأوسط المعاصر بين الخصوصية والواقعية:

نماذج للواقعية الكلاسيكية الجديدة في نظرية العلاقات الدولية

سيباستيان ماير

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ماير ، سيباستيان

العلاقات الروسية الاسرائيلية في الشرق الأوسط المعاصر بين الخصوصية والواقعية : نماذج للواقعية الكلاسيكية الجديدة في نظرية العلاقات العامة. / سيباستيان ماير - الرياض ، ١٤٣٨هـ

٢٨ ص ؛ ١٦,٥ x ٢٣ سم

ردمك: ١-١٧-٨٢٠٦-٦٠٣-٩٧٨

١ - اسرائيل - العلاقات الخارجية - روسيا أ. العنوان

ديوي ٣٧٢,٤٧٠٥ ١٤٣٨/٤٨٨٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٨٨٣

ردمك: ١-١٧-٨٢٠٦-٦٠٣-٩٧٨

المحتويات

مقدمة	**٦**
الواقعية الكلاسيكية الجديدة في السياسة الخارجية	**٧**
- الهياكل النظامية الخارجية	٨
• الدور الرئيس للدولة القومية	٨
• اللاسلطة/ الفوضى	٩
• البحث عن الأمن	٩
- العناصر النظامية الفرعية	١١
• التعاون و«التنافس حسب الأوضاع»	١٢
• التجانس الداخلي والحنكة السياسية	١٣
• العقلانية والعناصر المعرفية	١٤
الآثار المترتّبة على السياسات	**١٥**
- مكافحة الإرهاب: روسيا في عهد بوتين تتعلّم من إسرائيل	١٥
- الجالية الروسية في إسرائيل: نسيج مجتمعي فريد يعزّز العلاقات الدولية	١٧
- الأمن فكرة مهيمنة: روسيا وإسرائيل في سوريا	١٩
- تلاقي النخب: بوتين ونتنياهو يسعيان إلى الفصل في الصراع في سوريا	٢٠
- تهديد لم يكن في الحسبان: حزب الله اللبناني	٢١
- كيفية التعامل مع إيران	٢٣
الخاتمة	**٢٤**

مقدمة

أصبحت سوريا منذ سبتمبر عام ٢٠١٥م، ومع بداية تقديم روسيا المساعدات العسكرية لها، إحدى أكثر الحالات الغريبة والمثيرة للاهتمام في سياسة الشرق الأوسط المعاصرة، وأصبح التقارب الإسرائيلي الروسي حول الشأن السوري يتصدّر المشهد. ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى أظهرت روسيا أولى بوادر دعمها العسكري لإسرائيل؛ ففي الحادي والعشرين من سبتمبر هرع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى موسكو لمناقشة مخاوفه إزاء الأنشطة العسكرية الروسية في سوريا، وإذا كانت ستمثّل خطراً على أمن إسرائيل. ومنذ ذلك الحين، اجتمع قادة البلدين بشكل غير مسبوق؛ فقد التقوا ثلاث مرات لتحديد وتنسيق طبيعة المواجهات في الموقف السوري الذي يشهد حراكاً سريعاً. وأصبحت الحساسية المفرطة تجاه الأنشطة التي تقوم بها الدولتان في الشام، وتبدو مترابطةً، ملحوظةً بشكل كبير عند النظر إلى علاقة تلك الأنشطة بسوريا؛ إذ يتعارض بعضها مع بعض بشكل كبير. وبينما لا تزال إسرائيل وسوريا رسمياً في حالة حرب منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م أحدثت سوريا تحوّلاً في ميزان القوة بالشرق الأوسط منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي عندما عقدت اتفاقاً مع الاتحاد السوفييتي السابق يعزّز العلاقات السورية الروسية، ويعكس التزام الدولتين بمبدأ سيادة الدولة. وينبع أحد الأشكال الأخرى للخصوصية من العلاقة الجغرافية الغريبة بين سوريا وروسيا؛ فالكريملين يحمّل مصير سوريا أهميةً محليةً قصوى تكفي لتسويغ تدخّل روسيا في الخارج، وتراهن روسيا بشكل قويّ على أن الصراع السوري سيمتد إلى الجمهوريات الروسية المتعددة الأعراق ذات الأغلبية المسلمة في شمال القوقاز. وفي سياقٍ أكبر، فإن تراجع القوات المناهضة لنظام الأسد يُشير إلى السياسة التي تتبعها موسكو لتأكيد استمرارية نفوذ الحكم العلوي، الذي يضمن بدوره النفوذ العسكري الروسي من خلال تمركز قوات روسيا البحرية والبرية والجوية في محافظتي اللاذقية وطرطوس السوريتين الواقعتين على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

في المقابل، لم تتأثّر إسرائيل إلى الآن بالاضطرابات في سوريا على الرغم من مجاورتها لها؛ لأنها ظلّت بعيدةً تماماً عن أيّ تدخّل سافر. ومع ذلك، تجدر الإشارة هنا إلى أن إسرائيل شنّت عدة هجمات وقائية ضد ما رأت أنه قد يكون وسيلةً لتغيير مسار شحنات الأسلحة إلى حزب الله اللبناني. وفي الوقت ذاته، تراقب إسرائيل بشيء من الحذر عدداً

من الجماعات المختلفة المعادية لها والمناهضة للحكومة السورية وهي تقترب بمحاذاة منطقة مرتفعات الجولان الحدودية التابعة لسوريا بحكم القانون، لكنها في الواقع خاضعة لسيطرة إسرائيل. لذلك، ووفقاً لوجهة النظر الإسرائيلية، فإن الإذعان لاستمرار تشديد قبضة الأسد على السلطة، على الرغم من رفضه الصريح لمبادئ فيينا، قد يكون اعترافاً ضمنياً بتثبيته بالقوة على رأس السلطة، وهو ما تنظر إليه إسرائيل على أنه الأقلّ شراً في المسار العسكري والسياسي الراهن في سوريا.

وفي ظلّ تسارع وتيرة التطورات في سوريا وعنفها، والتصعيد الراهن المتبادل الذي سعت روسيا وإسرائيل إلى الإبقاء عليه، فإن الدور الروسي الإسرائيلي المزدوج يبدو منطقياً جداً في ظلّ السياق العملي، ويساعد ذلك على البحث في تفسير هذه العلاقة عن طريق تحديد نظرية متطورة لواقعية القوة الصارمة، وتوضيح نقاط التلاقي في السياسة الخارجية الخاصة بالدولتين فيما يتعلّق بالشأن السوري. ويتطرّق هذا البحث أيضاً إلى جوانب (أقلّ حدةً)، لكن لها الأهمية نفسها، مثل السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية المعاصرة للعلاقة بين الدولتين.

الواقعية الكلاسيكية الجديدة في السياسة الخارجية

يمكن عدّ الشرق الأوسط حالةً صعبةً عند تطبيق النظرية النقدية عليها؛ فلطالما عُدَّت هذه المنطقة «أفضل ما يلائم وجهة النظر الواقعية في السياسات الخارجية»، أو أنها «حالة استثنائية خارج مسار التاريخ، ومُحصّنة ضد الاتجاهات التي تؤثّر في أجزاء أخرى من العالم»[١]. لذلك، فإن هذا البحث يستند إلى إحدى نظريات العلاقات الدولية، التي تسدّ الفجوة بين تحليل الضغوط النظامية لدى المنظومة الدولية فيما يخصّ الحكومات وبين المتغيرات والمحددات المحلية[٢]. ويوضّح البحث، من خلال المبادئ الخاصة بالواقعية الكلاسيكية الجديدة، والتركيز في التفاعل بين الحراك الداخلي

(1) Paul Aarts, "The Middle East: A region without regionalism or the end of exceptionalism?", Third World Quarterly, 20:5,1999,911.

(2) Gideon Rose, "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy" *World Politics* 51, no.1 (1998) 147. "*It explicitly incorporates both external and internal variables, updating and systematizing certain insights drawn from classical realist thought*".

والخارجي، كيف توفّر الطبيعة المتغيّرة للعلاقات الروسية الإسرائيلية رؤيةً تجاه التعامل مع إدارة الأزمات الشائعة في الشرق الأوسط، وكيف يؤثّر اتّخاذ سياسات أجنبية بعينها في التعريف الدقيق لـ(الحلفاء) أو (الأعداء) الإقليميين، وليس اختيارهم فحسب. ويبدأ التحليل بتناول المبادئ الرئيسة للواقعية الكلاسيكية الجديدة، بما في ذلك تقدير مركزية الدول القومية، والنتائج المترتبة على الفوضى، والأهمية القصوى للمجال الأمني في العلاقات الدولية.

- الهياكل النظامية الخارجية:

• الدور الرئيس للدولة القومية:

تشترك الواقعية الكلاسيكية الجديدة مع الواقعية الكلاسيكية التقليدية والواقعية الجديدة في إحدى أهم الفرضيات الأساسية، وهي: الفكرة القائلة بأن الدولة القومية الحديثة هي أهم عنصر فاعل في السياسة الدولية[٣]؛ فبينما قام هانز مورجنتاو -الأب المؤسّس للواقعية الكلاسيكية- بصياغة منطق الغاية والوسيلة للدول، وعدّه متفرّداً من الناحية الأنثروبولوجية، تقدِّم أفكار كينيث والتز المُشتقّة من نظرية الواقعية الجديدة مفهوم الدول بوصفها «عناصر مركزية فاعلة» مشتركة[٤]؛ لذلك يمكن القول: إن الدول تُشكِّل نفسها في تكتّلات متجانسة في الوقت الذي يتمّ فيه قمع المُحدّدات المحلية في معظم الأحيان (نظرية الصندوق الأسود).

وتستكمل الكلاسيكية الجديدة بشكل حاسم ما سبقها من نظريات؛ فهي توفّر إطاراً لإدراك الدول القومية بوصفها هيئات؛ إذ يتمّ فيها تجميع السياسات الخارجية، وتكوينها، وترجمتها إلى نتائج سياسية فعلية؛ فالنظرية -إذاً- تعترف بأهمية العواقب المحلية وتدرّجها؛ مثل: الأجهزة المؤسسية العاملة، وتأثير النخب، والعناصر الاجتماعية الفاعلة.

---

(3) Joseph Grieco, "Realist International Theory and the Study of World Politics", in, *New Thinking in International Relations Theory*, ed. Michael W. Doyle, John G. Ikenberry (Boulder, Colorado: Westview Press, 2005)165-167.

(4) Kenneth Waltz, "*International Politics Is Not Foreign Policy*", Security Studies 6, no.1, 1996, 54. (Published by Frank Cass, London).

• اللاسلطة/ الفوضى:

تقدّم الواقعية الكلاسيكية الجديدة -إضافةً إلى ذلك- الفرضية الأساسية القائلة بأن النظام الدولي يتّسم بنقص سلطة عالمية موحّدة أو (شرطة عالمية)، وأدّى عدم وجود ترتيب هرمي صارم إلى ظهور المبدأ الأساسي الخاصّ بالفوضى النظامية بين الدول المتكافئة في العلاقات الدولية، وكانت المسألة الخاصة بكون السعي وراء السلطة تأثيراً هيكلياً للفوضى أو سلوكاً اختارته الدول مثاراً للجدل بين أنصار الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة[٥].

وتدحض الواقعية الكلاسيكية الجديدة هذه المعضلة من خلال وصفها «مقدّرات القوة المادية النسبية»[٦]؛ إذ يأتي التوزيع النسبي للقوى مع السعي وراءها؛ ليتدفّق بسلاسةٍ ومنطقيةٍ في إطار نظري أكثر اتساعاً ليشمل موازنات القوى والصراع على القوى ضمن عددٍ من العوامل الأخرى. ويجب أن يُنظر إلى الدولة القومية بوصفها قيمةً نسبيةً تعتمد على نفوذ الدول الأخرى بغضّ النظر عن مواقعها حليفاً أو عدواً. وفي إطار البيئة التي يحكمها عدم اليقين والتنافس وعدم الثقة يصبح مفهوم (مساعدة الذات)[٧] أحد أهم الأهداف التي تسعى الدول إلى تحقيقها من خلال تحقيق أقصى قدرٍ من الأمن.

• البحث عن الأمن:

تسعى الدول القومية جاهدةً إلى تحقيق الأمن من خلال السياسات الإستراتيجية القائمة أساساً على الظروف والتفسير العملي لنموذج السلطة، وهي فكرة ترتبط بشكل أساسي بمفهوم السياسة الواقعية؛ إذ «تُعدّ دراسة القوى التي تشكّل الدولة، أو تغيّر طبيعتها، أو تحافظ عليها، أساساً لجميع الرؤى السياسية، وتؤدي إلى فهم وإدراك أن قانون القوة يتحكّم في دول العالم كافةً كما يتحكّم قانون الجاذبية في العالم المادي»[٨].

وتشمل الإجراءات المنبثقة عن السياسة الواقعية هيئةً عسكريةً مؤسَّسةً جيداً ذات

(5) Hans Morgenthau (1948): *Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace*, [need city and publisher] p.4-5. […]"think and act in terms of interest defined as power".

(6) Rose (147).

(7) Kenneth Waltz (1979): *Theory of International Politics*, p.104 [Reading, Mass.: Addison-Wesley Pub. Co.

(8) Ludwig von Rochau (1853) Grundsätze der Realpolitik ("Fundamentals of realpolitik"), in K. Goepel, 1859, Bavarian State Library, 2011.

وسائل دفاعية كافية. ووفقاً للمواجهة الإستراتيجية، فإن وجود «كيان عام ذي قدرات دفاعية وعسكرية من شأنه أن يساعد على تقليص آثار الفوضى والتنافس على السلطة في السياسة الدولية، كما أنه يقلّل من إمكانية التدخل العنيف والقلق منه»[٩].

في المقابل، تعزّز سياسة التسلّح علناً، وتنوّع القدرات العسكرية الهجومية، الخوف ونشر القوة، وتكشف عوامل الخوف والمنافسة المتأصّلين في الفوضى بعلاقات الدولة. لذا يتعيّن -والحال كذلك- مُلاحظة أن أتباع الواقعية الكلاسيكية الجديدة لا يفرّقون بين المبادئ الهيكلية الخاصة بالواقعية (الدفاعية) و(الهجومية)؛ فكما يقول ويليام سي وولفورث: «يرى أتباع المدرسة الواقعية الكلاسيكية الحديثة أن الهياكل النظرية؛ مثل الواقعية الدفاعية أو الهجومية، ليست دائماً صحيحةً أو خاطئةً في كلّ وقت ومكان، لكنها تسهّل القيام بالعمليات الذهنية الأساسية التي تكمن في قلب أيّ تحليل للسياسة الخارجية من خلال مساعدة المُحلّلين على تأطير تقييماتهم في ظلّ القيود والدوافع الخارجية التي تواجهها الدول»[١٠]. كما يُعدّ التعامل مع الترسانات النووية، أو سوء التعامل معها الذي يُخشى منه، عاملاً أساسياً في لُبّ الواقعية الكلاسيكية الجديدة. وتُعرف المدة التي تلت الحرب العالمية الثانية، التي شهدت آخر استخدام للأسلحة النووية، باسم (السلام النووي)، أو نوع من التحفّظ بين الولايات المتحدة الأمريكية والقُدرات الفتّاكة للاتحاد السوفييتي السابق. لقد مثّلت فكرة الردع إبّان الحرب الباردة مساحةً متكافئةً لتوزيع القوى نسبياً في الساحة الدولية، أما فعلياً فكان تنفيذ مبدأ الردع يعني وجود قوات عسكرية في الجو والبحر والبر، وكذلك وجود أشكال منتظمة من التنافس العسكري؛ فإضافةً إلى البُعد النووي، والقُدرة على توجيه ضربة أخرى، اكتسبت فكرة تنفيذ سياسة الردع بُعداً جديداً، وهو فكرة كون التدمير الحتمي المتبادل بين الطرفين، بوصفه جزءاً من الحيثيات العسكرية للحرب الباردة، عزّز التوازن والتماثل في سياسات الردع؛ لأنها أطاحت بمصداقية لعبة الربح والخسارة؛ ففي حالة الدمار الحتمي للطرفين لا يعني النصر العسكري هزيمة العدو فحسب، وإنما يعني أيضاً توقّف الأنشطة النووية لدى الطرفين كليهما. وفي هذا السياق، قدّم توماس شيلينج إحدى أهم النظريات، التي وصف فيها إستراتيجية الردع

(9) Frank Schimmelfennig, *Internationale Politik* (Paderborn:Verlag Ferdinand Schöningh)77.

(10) William C. Wolforth, "Realism and Foreign Policy," in *Foreign Policy: Theories, Actors, Cases*, ed. Steve Smith; Amelia Hadfield; Timothy Dunne (Oxford: Oxford University Press, 2008) 36.

بأنها «فعلياً نظرية عدم الاستخدام الماهر للقوات العسكرية»[١١]. ويأتي على قدم المساواة مع وصف شيلينج لعنصر القيود المفهومُ النظريُّ الذي قدّم جلين سنايدر من خلاله عنصر حساب الاحتماليات والمخاطر عند تعمُّد اللجوء إلى السلاح على أمل تحقيق مكاسب مُعينة (يُرجى ملاحظة أن هذا التحليل قدّمه الجانب المعتدي)[١٢]. وكما سيتّضح لاحقاً، تظلّ هذه الرؤية النظرية مرتبطةً بشكل كبير بكيفية إدراك إسرائيل، التي من المفترض أنها قوة نووية في حدّ ذاتها، وكيفية رسمها سياستها في سوريا، وفي مواجهة مساعي إيران التي يُزعم أنها تعمل جاهدةً للحصول على قدرات عسكرية نووية.

وكما يتّضح على مدار التاريخ، فقد جعل انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكّكه من الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة المهيمنة على العالم، لكن هذا الإنجاز لم يصاحبه احتكار أمريكي للقوى النووية، بل على العكس، تنامت في ظلّ الحروب غير المنتظمة المتزايدة، وزيادة الأنشطة النووية في دول العالم كافةً، خطورة الدور الذي تؤديه الأسلحة النووية بشكل كبير، وتجاوزت كونها وسيلةً للردع فحسب؛ إذ تنامت مع تغيّر التكتلات، وتراجع سلطة الدولة في الشرق الأوسط، تلك الاحتمالية بشكل واضح، وهو ما قد يؤدي إلى كثير من المشكلات الأمنية. وعند النظر إلى الجهات الفاعلة غير الحكومية نرى أن السعي إلى تحقيق الأمن مرتبط بتأطير فكرة الردع بين إسرائيل وحزب الله اللبناني، وتوحي هذه العلاقة الغريبة بينهما بعدة ملابسات، أهمها أن علاقة الردع لديهما غير متماثلة أو متكافئة؛ لأن إسرائيل، وهي دولة قومية، تواجه حزباً سياسياً لبنانياً يمتلك جناحاً عسكرياً مهماً.

- العناصر النظامية الفرعية:

إضافةً إلى العوامل النظامية الخارجية المذكورة أعلاه، فإن السمة المميّزة للواقعية الكلاسيكية الجديدة تنبثق من دمج البُعد النظامي الفرعي للسياسات -كما وصفه

(11) Thomas C. Schelling, "The Strategy of Conflict" (Harvard University, Cambridge, Massachusetts, 1960) 9.

(12) "Discouraging the enemy from taking military action by posing for him a prospect of cost and risk outweighing his prospective gain" G. H. Snyder *Deterrence and Defense*, (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1961)33-35.

جيدون روز في أهمّ أعماله الواقعية الكلاسيكية الجديدة- بوصفه «متغيّرات متداخلة» ضمنياً[١٣]. وأكّدت وظيفة هذا البعد، بوصفه موضعاً لحدوث التفاعل بين الهياكل الخارجية و(النتائج السياسية) النهائية، أن «تأثير مثل هذه القوى في السياسة الخارجية أمر غير مباشر ومُعقّد؛ لأن الضغوط النظامية تجب ترجمتها من خلال المتغيرات المتداخلة على مستوى الوحدة»[١٤].

أما راندال شويلر، فيرى أن النخب المؤثرة، وأصحاب المصالح السياسية، يفسّرون تلك المتغيرات على المستوى المحلي، ويشير إلى أن القرارات ذات الأهمية السياسية تحتاج إلى أن تُوضع في سياق محدّد من خلال النظر إلى العوامل التي أثارتها في المقام الأول، والتي تشمل إدراك المخاطر الأمنية الملموسة وغير الملموسة على حدٍّ سواء، الموجّهة من دول الجوار البعيدة والقريبة، وكيف تتناول النخب هذه المخاطر. ويصف شويلر المنطق المُستخدم لاتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة المحلية من خلال أربعة أبعاد على النحو الآتي: اعتماد النخب والحكومات على المعارضة البرلمانية، والعلاقة بين النخبة والشعب ومدى قبول كلٍّ منهما الآخر واستيعاب النخبة للشعب، والاتساق الداخلي بين النخبة والتعاضد بين الهياكل النخبوية السياسية والاقتصادية والعسكرية، والتوافق بين النخبة السياسية والشعب في وقت الأزمات[١٥]؛ لذلك تتمّ فلترة الضغوط الخارجية محلياً، ثم (ترجمتها) إلى سياسات فعلية وفقاً لهذه الأبعاد الأربعة.

• التعاون و«التنافس حسب الأوضاع»:

على القدر نفسه من الأهمية يأتي الأسلوب الذي يُدرك أتباع الواقعية الكلاسيكية الجديدة من خلاله معنى التناسق بين الدول، خصوصاً في مجالي الأمن والسياسة الخارجية. ولمزيدٍ من التأكّد، فإن مفهوم التعاون لدى الواقعية الكلاسيكية الجديدة لا يعني بالضرورة التحرّك بشكل دائم في اتجاه إيجاد منصّة للتنسيق تضمن المكاسب المُطلقة لجميع

(13) Gideon Rose (1998): p.147.

(14) Ibid.

(15) Randall Schweller, *"Unanswered Threats: Political Constraints on the Balance of Power,"*International Security, Vol. 29, No.2, (2004): 159-201.

الأحزاب المُشاركة، كما هو الحال -على سبيل المثال- لدى المُنظّرين الليبراليين الجدد[١٦]، وإنما يؤمن أتباع الواقعية الكلاسيكية الجديدة بدلاً من ذلك بمجموعة من المشاورات الخاصة على مستوى السياسات، ويدافعون عن المكاسب النسبية على مستوى الأمن القومي، في ظلّ الخوف الدائم من الخيانة التي تبدو كبيرةً؛ فـ«باستخدام مصطلحات أكثر تقنية، يرى أتباع الواقعية عالماً من التنافس في المواقف بشكل دائم بين جماعاتٍ في ظلّ ظروف حرجة، وأعني بكلمة (المواقف) أن العامل المؤثّر ليس المهارات أو القدرات لدى العناصر الفاعلة فحسب، وإنما طريقة أدائها مقارنةً بالخصوم؛ ففي مثل هذه المواقف يصبح لأيّ تغيّر في القدرة المُطلقة لدى أيّ عنصر عواقب كبيرة بوصفه متنافساً أيضاً... أو على الأقلّ: تجنّب الحدّ الأدنى من الخسارة النسبية»[١٧].

• التجانس الداخلي والحنكة السياسية:

قدّم فريد زكريا عنصراً أساسياً آخر ضمن (المتغيّرات المتداخلة)، وهو ما يُعرف بـ(قوة الدولة)[١٨]. ووفقاً لهذا المبدأ، يمكن للدولة فقط أن تتطوّر وتحافظ على سياسة خارجية وملف أمني فاعلين، وأن تتمكّن -على الرغم من التنوع الاجتماعي- من تحقيق التجانس، وإثارة الحراك والقناعة بأن الصور والإدراكات الاجتماعية السائدة[١٩] في ظلّ جهود كبيرة تشكّل أهدافاً معينةً مُتعلقة بالسياسات. ووصف روبرت جيرفيس هذا الأسلوب باستخدام مصطلح (العلاقة بين الدولة والمجتمع)، فقال: «كيف تقوم العوامل الفاعلة بالحصول على الدلالات من سلوكيات الآخرين؟ وكيف يمكن للعوامل الفاعلة أن

(16) Joseph M. Grieco, *"Cooperation among Nations,"* (Ithaca, NY: Cornell University Press,1990)3-6.

(17) Randall Schweller "New Realist Research on Alliances: Refining, not refuting, Waltz's balancing proposition," in: *American Political Science Review*, Vol.91, No.4 (1997):928. Joseph M. Grieco, "Relative Gains and Losses, in *Anarchy and the Limits of Cooperation: A Realist Critique of the Newest Liberal Institutionalism*, International Organization 42(3), p.485-507.

(18) John Baylis, Steve Smith, Patricia Owens Ed. *The Globalization of World Politics*: *An Introduction to International Relations*; *Part Two: Theories of World Politics,*(Oxford: Oxford University Press, 2008): 74: http://www.oup.com/us/images/hesamplechapters/IntrotoGlobalPolitics_Ch3.pdf.

(19) Jefferey M. Sellers "State- Society Relations Beyond the Weberian State," in: Handbook of Governance, ed. Mark Bevir(London: Sage Publications, 2010).

تؤثّر في الإشارات التي يتلقّاها الآخرون؟ وكيف يمكن لأحد الفاعلين المؤثّرين أن يحافظ على الصورة المنشودة التي قد يرغب في التصرّف بشكلٍ مخالفٍ لها؟ وكيف يمكن لأحد العوامل الفاعلة بإيجازٍ أن يؤثّر في المعتقدات الخاصة به، وأن يقنع الآخرين بقبول تصرّفاته التي تساهم في تحقيق أهدافه؟»[٢٠].

وتُكمل هذه العناصر الليّنة الخاصة بالتجانس العناصر الصلبة الخاصة بالمتغيّر الواقعي الكلاسيكي؛ مثل: وضع النظام العسكري، أو تقريب التقنيات الدفاعية بمحاذاة المناخ الاقتصادي العام. ويساعد دمج أحد جوانب التجانس المجتمعي بشأن دعم سياسات بعينها على دعم إدراك أكثر اختلافاً لمفهوم (قوة الدولة).

• العقلانية والعناصر المعرفية:

الأكثر من ذلك أن الواقعية الكلاسيكية الجديدة تؤكّد ارتباط العقلانية -بوصفها نموذجاً- باتخاذ قرارات سياسية وواقعية صائبة، وتتناول العقلانية بوصفها بندولاً يتحرّك بين المساعي والقيود المُحتملة التي قد تعوق تنفيذ سياسةٍ بعينها[٢١]، وتكون العقلانية المحدودة عند افتراض أن القرارات التي يتمّ اتّخاذها تستند إلى احتمالية الاستفادة إلى أقصى حدّ. ويرتبط قياس الأحداث الأفضل للتوصّل إلى النتائج المنشودة بشكل وثيق بحدود المعرفة واليقين بأن تصرّفاتٍ بعينها ستؤدي إلى النتائج المرجوة، لكن يمكن للمرء أن يلحظ أن عواقب الأحداث المنتقاة ليست مؤكّدةً على الإطلاق[٢٢]. ويتناول أتباع المدرسة الواقعية الجديدة عدم اليقين هذا من خلال إدراج مفهوم

---

(20) Robert Jervis, "The Logic of Images in International Relations," in *Die Analyse außenpolitischer Entscheidungen (Analysis of Foreign policy decision-making)*ed. Kai M. Schellhorn (München:tuduv-Verlagsgesellschaft, 1985) 52.

(21) *"Neoclassical realism accepts the rationality assumption, but a qualified, contingent one, which it terms confined rationality. It agrees that systemic pressures create opportunities and constraints. Power pushes states to act within a range of possibilities;[…]* ." Thomas Juneau "Neoclassical Realist Strategic Analysis: A Statement,"2010 paper presented at European Consortium on Political Research-Graduate Student Conference, Dublin, p.7. http://www.people.fas.harvard.edu/~plam/irnotes07/Grieco1988.pdf.

(22) James D. Morrow "Rational Choice Approach,"in *Decisionmaking on War and Peace: the Cognitive-Rational Choice Debate,* ed. Nehemia Geva, Alex Mintz (London: Lynne Rienner Publishers, 1997).

(تجميع المعرفة)؛ أي أن اتّخاذ القرار يجب أن يتوافق مع العقلانية، وهو ما يعني مجموعةً من المستويات المختلفة لإعادة التقييم والتكيّف. ويستلزم إيجاد الضروريات التوافقية أخذ التأثيرات الدينية والتقاليد الاجتماعية المختلفة في ظلّ البيئة السياسية المتجانسة في الحسبان؛ فوفقاً لفريد زكريا «أيّ تفصيل جيّد للسياسات الخارجية لأيّ دولة يجب أن يشمل تأثيرات نظامية ومحلية وغيرها تحدّد العوامل التي من شأنها تفسير جوانب سياسية بعينها»[٢٣]. لذلك، فإن هذا التحليل يُوكل قدراً لا بأس به إلى تكثيف التعامل بين إسرائيل وروسيا في نطاق السياسات الخارجية على المستوى المنهجي، مع نقل[٢٤] التطورات الداخلية ودورها في النتائج الخاصة بسياساتٍ بعينها. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، سيتمّ تفعيل الإطارات النظرية التي تمّ تناولها فيما سبق بوصفها نموذج استجابةٍ حافزاً ينبثق من مجموعة من التحليلات الموجودة في الأبحاث الخاصة بالنزاعات.

الآثار المترتّبة على السياسات

- مكافحة الإرهاب.. روسيا في عهد بوتين تتعلّم من إسرائيل:

اتّخذت العلاقات بين روسيا وإسرائيل منعطفاً حاداً في أعقاب تفكّك الاتحاد السوفييتي؛ فمع أن المسار الثاني للدبلوماسية كان عنصراً أساسياً في العلاقات بين الدولتين إلا أنه استطاع بصعوبةٍ أن يحلّ محلّ العلاقات الدبلوماسية الطبيعية التي تمّ إرساؤها عام ١٩٩١م، ومع ذلك يجدر القول: شهدت العلاقات بين البلدين تطوراً مستديماً في أعقاب مدة رئاسة بوريس يلتسن التي استمرت من عام ١٩٩١ إلى عام ١٩٩٩م؛ فقد كان خلفه فلاديمير بوتين هو مَن اتّخذ اتجاهاً مغايراً عمّن سبقوه. وهناك كثير من الأدلة التي تفسّر هذا التحول الجذري في السياسات؛ فقد كانت روسيا آنذاك ترغب في الاستفادة من خبرة إسرائيل في إخماد الممارسات الإرهابية التي بدأت بالظهور بعد ما عُرف بـ(تفجيرات الشقة الروسية) في سبتمبر عام

(23) Fareed Zakaria, "Realism and Domestic Politics: A Review Essay," International Security 17,1 (1992): p.198.

(24) Randall Schweller "*Unanswered Threats: Political Constraints on the Balance of Power*". (Princeton: Princeton University Press, 2006),6."*complex domestic political processes act as transmission belts that channel, mediate, and (re)direct policy outputs in response to external forces (primarily, changes in relative power)*".

١٩٩٩م، التي وقعت في كلٍّ من: موسكو، وفولغودونسك، وبوبيناكسك، وأدّت إلى سقوط ما يقرب من ٣٠٠ قتيل، وإصابة ما يزيد على ألف شخص. وأتاحت أزمة رهائن موسكو عام ٢٠٠٢م، وما تلاها من أزمة رهائن مدرسة بسلان في شمال أوستيا عام ٢٠٠٤م، التي شهدت مقتل ما يزيد على ٣٠٠ رهينة، نصفهم من الأطفال، الفرصة أمام المحلّلين للتعامل مع الوضع الذي بدا معه الجهاز الأمني الروسي كأنه غير مؤهّل لمواجهة أعمال الإرهاب المحلي. وفي سياق الصراع الشيشاني الروسي، أشارت روسيا إلى عدة دول عربية، زاعمةً أنها تساند المقاومة الروسية، وتتحدى الجيش الروسي في «النطاق غير التقليدي» (على الرغم من المبالغة في وصف شراسة هذه الهجمات)[٢٥]. ووجد بوتين في آرييل شارون -رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك- حليفاً مناسباً للمساعدة على تصميم حملة روسية لمكافحة التمرّد عبر شمال القوقاز، وتوقّع شارون -في المقابل- أن تقوم روسا بالتزام التوصيف المُسبق للمقاومة الفلسطينية بأنها (إرهابية). وأدّى هذا التحدي، الذي واجهته روسيا وإسرائيل من خلال أعمال العنف المتباينة التي شنّها أعداؤهما، إلى ظهور نمط جديد من التعاون في مجال مكافحة الإرهاب؛ فإسرائيل -الدولة المرتبطة بتطبيق الإجراءات العنيفة والقاسية في مواجهة الحركات الإسلامية العنيفة- تقدّم الآن النصيحة لروسيا[٢٦]. وامتدت هذه الشراكة بشكل ملموس لتشمل التعاون في مهامّ تدريب القوات الخاصة، وتقنيات الاستجواب[٢٧] فيما يتعلّق بقضايا الاختطاف، وشملت كذلك قدراً كبيراً من تبادل أفضل الخبرات والتكنولوجيا، خصوصاً في نطاق الأمن. وتجسّدت هذه الروابط الجديدة عام ٢٠٠٤م عندما قام بوتين بتعيين مستشاره المخلص ديمتري كوزاك في منصب ممثّل الرئاسة المفوّض إلى المنطقة الجنوبية الفيدرالية، التي تشمل شمال القوقاز، وسرعان ما قام كوزاك بعد تعيينه في هذا المنصب، ومعه لفيف من المسؤولين الروس الرفيعي المستوى، بزيارة إسرائيل لينهلوا من خبراتها في التعامل مع الحروب البسيطة.

---

(25) Vivek Chadha, Indian Army's Approach to Counter Insurgency Operations, A Perspective on Human Rights, *Institute for Defence Studies & Analysis*, IDSA Occasional Paper No. 42, 2016.

(26) John R. Schindler, "Defeating the Sixth Column: Intelligence and Strategy in the War on Islamist Terrorism,"*Orbis* 49, no. 4(2005)603-604.

(27) Ibid. *"Shin Bet interrogators, for example, receive three years of instruction in Arabic and psychology before they deal with terrorist suspects*".

- الجالية الروسية في إسرائيل.. نسيج مجتمعي فريد يعزّز العلاقات الدولية:

من العوامل الأخرى، التي توضّح مدى التعاون المتزايد بين الدولتين، تيار الهجرة المتدفّق من دول الاتحاد السوفييتي السابق الناطقة بالروسية إلى إسرائيل في أعقاب نهاية الحرب الباردة؛ إذ يشكّل المهاجرون المتحدثون باللغة الروسية وأحفادهم ما يقرب من مليون نسمة من تعداد السكان الإسرائيلي البالغ ٨,٢ مليون نسمة، وتمثّل هذه الجالية ثالث جالية ناطقة بالروسية خارج الاتحاد السوفييتي السابق، ويؤمن كثير من أولئك الإسرائيليين المتحدثين باللغة الروسية أن روسيا هي موطنهم الأصلي. ويحكم إسرائيل الآن أبناء المهاجرين الذين نزحوا من الاتحاد السوفييتي بين عامي ١٩٠٥ و١٩٢٤م، وهي المدة التي تمّ خلالها حظر المنظمات الصهيونية، وجاء تأسيس أول مستوطنة/ كيبوتس على يد اليهود الروس. وهناك أيضاً -إلى جانب المهاجرين الروس- عدد من اليهود الناطقين بالروسية، الذين جاؤوا من بلدان أخرى، مثل بولندا. وتعدّ اللغة الروسية المُستخدمة في إسرائيل فريدةً من نوعها، وتزخر عادةً بالكلمات العبرية، وهو تطور لغويّ محتوم؛ لأن كثيراً من الحوادث الإسرائيلية الواقعية لا توجد لها كلمات روسية تصفها. كما يوجد في إسرائيل عدد من الصحف والمجلات والمراكز الثقافية والمجتمعية والمهرجانات والمؤتمرات والمعارض والحفلات الموسيقية الروسية، إضافةً إلى وجود عدد كبير من متحدثي اللغة الروسية من الشباب وكبار السنّ على الإنترنت، حتى أصبحت اللغة الروسية هي اللغة الرابعة في إسرائيل بعد اللغات: العبرية، والعربية، والإنجليزية، وتتمّ ترجمة المستندات الحكومية كافةً إلى اللغة الروسية.

وهناك -إضافةً إلى الجالية اليهودية ذات الأصل الروسي في إسرائيل- وجود قويّ للروس الأرثوذكس؛ إذ تمّ تأسيس البعثة الروسية الأرثوذكسية في القدس عام ١٩٥٨م، لكن المسيحيين الروس كانوا قد بدؤوا بزيارة الأراضي المقدسة منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وأصبحت الكنيسة الروسية الأرثوذكسية/ بطريركية موسكو منذ عام ١٩٤٩م مسؤولةً عن الممتلكات الكنسية الواقعة فيما عُرف آنذاك بـ(الأراضي الإسرائيلية)، وظلّت مسؤولية الممتلكات في الأراضي الواقعة تحت الحكم الأردني تابعةً للبعثة الكنسية الروسية المُمثِّلة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية خارج روسيا. كما كان هناك كثير من حالات الاحتكاك حول نوعية التشريعات، وكيفية التعامل مع الممتلكات، مثل ما يتعلّق بالتعداد السكاني للعرب المسيحيين في فلسطين؛ فعلى سبيل المثال: حاول أليكسي

الثاني -بطريرك موسكو عام ١٩٩٧م- زيارة دير في الخليل مملوك للكنيسة الروسية الأرثوذكسية خارج روسيا، لكنّ مسؤولي الكنيسة أنفسهم رفضوا طلبه، وساعدت هذه الحادثة على تسليم الدير للكنيسة الروسية الأرثوذكسية، وقامت الشرطة التابعة للسلطة الفلسطينية بتنفيذ ذلك بعد أسبوعين من تاريخ هذه الواقعة.

وفي سياقٍ أكثر علمانيةً فيما يتعلّق بالشتات الروسي في إسرائيل، من المعروف أن عدداً كبيراً منهم تمتّع بمزايا التعليم العالي قبل تفكّك الاتحاد السوفييتي، وتسلّحوا بفكرة الجنسية المزدوجة، والتنقّل بحريةٍ بين الدولتين، وأصبحوا نقاط تواصل في شتى المجالات العلمية والأعمال الحرة والأبحاث. وفي المقابل، تضمّ موسكو أكبر عددٍ من العمالة الوافدة الإسرائيلية في الخارج، وجميعهم يتحدثون الروسية بطلاقةٍ، وتعدّ الروسية حالياً اللغة الثالثة من حيث الاستخدام في إسرائيل. ولا يدعم تدفّق الإقامة والنشاط التقارب بين الدولتين فحسب، وإنما يمثّل أيضاً تأثيراً اجتماعياً لا بأس به في جميع المواطنين المقيمين بإسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة. وعلى القدر نفسه من الأهمية تأتي فكرة أن التعداد السكاني المتزايد في إسرائيل يساعد على تحقيق التوازن بشأن ما وصفه كثيرون بأنه زيادة غير مسبوقة تفوق التعداد السكاني العربي، وإعادة تشكيل الواقع الديموغرافي والاقتصادي والاجتماعي لإسرائيل حديثاً. وأخيراً، فإنه يتمّ صهر اليهود الناطقين بالروسية، أو الإسرائيليين ذوي الأصول الروسية، في بوتقة المجتمع الإسرائيلي؛ أي: الجيش، عن طريق التجنيد الإجباري لجميع الإسرائيليين من الذكور والإناث. ولا يقتصر دور مؤسسة الجيش على الدفاع عن الوطن فحسب، وإنما تعدّ نموذجاً مُصغّراً يُجسّد عمليات تنشئة اجتماعية معينة، تؤدي فعاليات تأسيس الهوية من خلالها دوراً حاسماً في إدراك أهميتها لدى كلٍّ من: روسيا، وإسرائيل؛ فقد «تميّزت العلاقات بين الإسرائيليين والجيش مؤخّراً بتناغم أساسي؛ فالرأي العام الإسرائيلي يعترف بأهمية الجيش بوصفه إحدى ركائز الروح الوطنية، وأن له الأولوية في توزيع الموارد البشرية والمادية القومية. ويمكن عدّ الحالات العرضية من الاحتكاك المدني والعسكري -حتى وإن كانت واضحةً- نوعاً من الانحرافات، خصوصاً عندما تقتصر على المُهمّشين اجتماعياً. وبغضّ النظر عما يحيط بالأمر من رقابة صارمة، فإن الشؤون العسكرية لا تخضع للفحص الدقيق من العامة»[٢٨]، «وتشمل اهتمامات الأمن

(28) Stuart Cohen,"Israel's Three Strategic Challenges," Middle East Quarterly, Vol. 6, no 4 (2000):41-50.

القومي الأساسية الدفاع عن سلامة أراضي الوطن، وتعزيز الرخاء الاقتصادي، والحفاظ على القيم والرموز والمؤسسات الفريدة من نوعها؛ أي: الحفاظ على هويّتها المتميزة»[٢٩].

- الأمن فكرة مهيمنة.. روسيا وإسرائيل في سوريا:

تعكس علاقات روسيا المتجدّدة في الآونة الأخيرة تجاه إسرائيل إستراتيجية بوتين الكبرى للحفاظ على النفوذ الحالي، واغتنام الفرص لعرض قوّته وخدمة مساعيه إلى أن يصبح شريكاً أكثر قدرةً على البقاء في منطقة الشرق الأوسط. ولعلّ ذلك هو الأكثر أهميةً؛ فهذه العقيدة الروسية تعدّ قوةً دافعةً لإقامة علاقات وثيقة مع إسرائيل، الدولة التي تُشتهر بعدائها الصارخ لحلفاء روسيا منذ أمد بعيد؛ أي: سوريا، وإيران. وتتعدّى الحاجة الروسية الملحة إلى إكساب القوة زخماً من التداعيات الكبرى غير التقليدية لدى مثلث: إسرائيل، وروسيا، وسوريا، وهو الأمر الذي أصبح واضحاً عند النظر في التصريحات الروسية الرسمية الأخيرة حول كيفية التعامل مع الأسد.

ومن جانبه، كرّر وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في منتصف ديسمبر عام ٢٠١٥م أن «الشعب السوري وحده هو مَن يمكن أن يحدّد مصير سوريا»[٣٠]، مؤكّداً أن المعارضة السورية ظلّت منقسمةً إلى حدٍّ بعيد، ورأى أن الطبيعة الممزّقة للمعارضة تظلّ عقبةً كبيرةً أمام تنفيذ عملية انتقال سلسة ومستديمة. وعند سؤاله «عما إذا كان إنقاذ الأسد مسألة مبدأ لدى موسكو» أجابت ماريا زاخاروفا[٣١] -المتحدثة باسم وزير الخارجية الروسي- بأن الأمر كذلك مادامت روسيا تفضّل حقّ تقرير المصير للشعب السوري. ووفقاً للحكومة الروسية، لا يمكن أن ينجح أيّ قتال ضد تنظيم داعش أو أيّ كيان إرهابي آخر، مثل جبهة النصرة، من دون تعاون فاعل من الحكومة السورية. ومن

(29) David Rodman (2003)"Review essay: Israel's national security doctrine: an appraisal of the past and a vision of the future", Israel Affairs, 9:4,115-140.

(30) *"Russia Criticizes Riyadh Talks as Not Representing 'Entire Syrian Opposition,"* ***Middle East Eye***, December 12, 2015: http://www.middleeasteye.net/news/russia-slams-riyadh-talks-not-representing-entire-syria-opposition-1491644383.

(31) *"Захарова: РоссияподдерживаетнеАсада, агосударственностьСирии"* ("Zakharova: Russia does not support Assad, but the Syrian state"), ***RiaNovosti***, September 18, 2015: http://ria.ru/arab_sy/20150918/1261912221.html.

هذا المنظور، لا يزال بشار الأسد يمثّل السلطة الرسمية والشرعية الوحيدة التي يمكن لموسكو التعامل معها، كما تعهّدت روسيا بـ«الحفاظ على التعاون الإيجابي مع القوات التي تشنّ حرباً ضد الإرهابيين في سوريا على الأرض». وتدلّ وفاة زعيم جيش الإسلام زهران علوش، الذي قيل: إنه قُتل في غارة جوية روسية يوم ٢٥ ديسمبر عام ٢٠١٥م، على عزم موسكو على محاربة أيّ قوات تراها (إرهابية).

ودخلت العلاقات الروسية الإسرائيلية مرحلةً جديدةً في أعقاب تنفيذ القوات الروسية عدداً من عمليات الانتشار البحرية بمحاذاة المحافظات السورية الساحلية في طرطوس واللاذقية، وهو ما جعل للجيش الروسي وجوداً قوياً على الساحة السورية منذ سبتمبر عام ٢٠١٥م.

- تلاقي النخب.. بوتين ونتنياهو يسعيان إلى الفصل في الصراع في سوريا:

على خلفية هذه التطورات، قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في ٢١ سبتمبر عام ٢٠١٥م بزيارة خاطفة إلى موسكو عكست الحاجة الملحة لدى القيادة الإسرائيلية لمعالجة كيفية تأثير النوايا الروسية في سوريا في أمن إسرائيل. وأعرب نتنياهو، الذي كان يرافقه في خطوة غير مألوفة إلى حدٍّ ما القائد العام لجيش الدفاع الإسرائيلي جادي أيزنكوت، ورئيس الاستخبارات العسكرية اللواء هرتزل هاليفي، عن قلقه إزاء العواقب المحتملة إذا تجاوزت الأنشطة العسكرية الروسية الخطوط الحمراء الإسرائيلية الراهنة. ويبدو من الناحية العملية أن الزيارة بدأت بتفعيل إشارات واضحة للتدخّل في المجال الجوي في محاولة لمنع الحوداث الجسيمة غير المتوقعة، مثل إسقاط تركيا المقاتلة الجوية Sukhoi Su-24 في ٢٤ نوفمبر عام ٢٠١٥م. ومنذ ذلك الحين، أتاح تنسيق الإجراءات بين روسيا وتركيا للفصل السريع في النزاع في سوريا للروس الاستمرار في دعم النظام الإسرائيلي. ومن ناحية أخرى، حافظت إسرائيل على موقفها من حيث الدفاع الوقائي في حالة التهديد بالقصف أو الانتشار المتزايد على طول الحدود السورية اللبنانية الإسرائيلية، وتحديداً في مرتفعات الجولان بالقرب من محافظة القنيطرة السورية.

كما زار نتنياهو موسكو مرةً أخرى في ٦ يونيو عام ٢٠١٦م بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ويمكن أن يُنظر إلى هذه الزيارة

على أنها تمثّل متابعةً لاجتماع القائدين في ٢١ إبريل عام ٢٠١٦م، ومواصلة تعميق آليات الفصل في النزاع. وعلى الرغم من معرفة نتنياهو وبوتين أحدهما الآخر على مدار عقدين من الزمن، وأن كلاهما صعد سلّم الخدمة العسكرية والاستخباراتية في بلده، إلا أن أواصر الصداقة المهنية تجسّد بالتأكيد فكرة مشتركة عن كيفية تناول التحديات المباشرة في سوريا وما حولها بشكل عملي؛ فإسرائيل ترى أن التساهل الروسي والتحالف الجزئي مع إيران يعدّان نقطة سوداء، وفي الوقت ذاته يرى كثير من المحلّلين داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن الدعم الروسي الإيراني للأسد يمكن أن يمثّل إشكاليةً؛ لأن احتمال وجود مجموعة كاملة من السلفيين المتمردين المنفصلين تماماً عن الدولة السورية، الذين لا يخضعون للدولة على الإطلاق، في مرتفعات الجولان يعدّ أمراً لا يُستهان به. ومن المنظور الإسرائيلي، فإن بقاء روسيا عنصراً أساسياً في سوريا يفتح على الأرجح مجالاً للمناورات على الأرض كان يمكن أن تهيمن عليها قوات القدس الإيرانية النظامية في حال تقسيم الجمهورية العربية السورية. وفي ظلّ هذا السيناريو، يمكن للوجود العسكري الروسي القويّ، الذي يأخذ في الحسبان التحفظات الأمنية الإسرائيلية، أن يقلّل من خطر تصعيد آخر بين إسرائيل وحزب الله المُنهك حالياً.

- تهديد غير محسوب لإسرائيل.. حزب الله اللبناني:

من الجدير بالذكر أن التوتر بين روسيا وإسرائيل يدور حول إستراتيجيةٍ تشمل المخاطر المرتبطة بتغيير قواعد اللعبة، ووصول الأسلحة إلى أيدي الموالين لنظام الأسد؛ أي: حزب الله، في أسوأ الأحوال. وفي الماضي، شنّت القوات الجوية الإسرائيلية في حالات مماثلة غارات مراراً وتكراراً مخترقةً المجال الجوي السوري، واستهدفت منشآت للجيش السوري؛ لتدمير ما افترضت أنه إمدادات قتالية من أصل روسي أو إيراني موجّهة إلى حزب الله. وتتذكّر إسرائيل تماماً عندما كشف جيشها الدليل على أن الصواريخ السورية المضادة للدبابات Kornet ١٤، التي زوّدت بها سوريا حزب الله إبّان حربه مع إسرائيل عام ٢٠٠٦م، هي السلاح الذي أثبت أهميته في القدرة على الحدّ من التوغّل البري لإسرائيل[٣٢].

(32) Andrew McGregor, "Hezbollah`s Creative Tactical Use of Anti-Tank Weaponry,"*Terrorism Focus* no: 32, (2006).

وفي ظلّ التمويل المادي، ونقل المساعدات العسكرية الإيرانية، لم يكن حزب الله قادراً على التوغّل واختراق عمق البنية السياسية اللبنانية فحسب من خلال دعمه الدوائر الانتخابية الشيعية، بل استطاع أيضاً تعزيز قوّته القسرية؛ إذ استفاد الحزب من خبرات القيادة والسيطرة التابعة للحرس الثوري الإيراني والمستشارين السوريين[٣٣] فيما يتعلّق بالانضباط، والهيكل الهرمي السلس، والتكنولوجيا، والتعتيم لتنفيذ عمليات مكافحة التجسّس[٣٤]. كما أصبح حزب الله، من خلال تعزيز ترسانته من الصواريخ القصيرة والمتوسطة والطويلة المدى بشكل نوعي، قادراً على نقل ما لديه من مخزون فتّاك من جنوب لبنان إلى شمال نهر الليطاني وزرعه به، وبذلك يستنتج الحزب الدروس الإستراتيجية الصحيحة من حرب عام ٢٠٠٦م عندما أصبحت الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى تشكّل تهديداً حقيقياً للمناطق الإسرائيلية ذات الكثافة السكانية العالية؛ لذلك دمّرتها الغارات الجوية الإسرائيلية في المراحل الأولى من الحرب[٣٥]. وساعدت أيضاً إعادة تسليح حزب الله في أمكنةٍ أخرى من جنوب لبنان على الالتفاف والتخفّي عن العيون المشبوهة في قوات الأمم المتحدة المؤقتة في الجزء الجنوبي من البلاد[٣٦]، فاستمرت بذلك القدرات العسكرية لحزب الله في النمو؛ إذ يمتلك الحزب الآن عدداً أكبر من القذائف عما كان يمتلكه قبل الحرب[٣٧]. وتظلّ الصواريخ المتوسطة المدى؛ مثل فجر ٣ و٥، والصواريخ البعيدة المدى؛ مثل زلزال ١ و٢ تحديداً، التي قيل: إن إيران زوّدت بها حزب الله في المرحلة الأخيرة من الصراع، تشكّل تهديداً كبيراً لعدوها[٣٨]. وإضافةً إلى

(33) Anthony Cordesman, *Israel and Syria: The Military balance and Prospects of War*, (Westport: Praeger Security International) 262.

(34) Mark Perry, Alastair Crooke, *How Hezbollah Defeated Israel: Winning the Intelligence War*, Asia Times, 12 October, 2006: http://www.atimes.com/atimes/Middle_East/HJ12Ak01.html.

(35) Cordesman 2008, 4-7.

(36) Howard Schneider, *Hezbollah's relocation of rocket sites to Lebanon's interior poses wider threat*, *Washington Post Foreign Service*, January 23, 2010.

(37) "Hezbollah reportedly stockpiling 40,000 rockets," Haaretz, August 5, 2009.

(38) "Iran: We supplied Zelzal-2 to Hizbullah," *Jerusalem Post*, August 4, 2006. 4 August, 2006, see: Anthony Cordesman, Bryan Gold "The Gulf Military Balance: The Missile and Nuclear Dimensions" in *Iran's Ballistic Missile Capabilities: A Net Assessment* (Institute for Strategic Studies, 2010).

ذلك، كان لصواريخ الكاتيوشا الروسية الصنع، التي كانت من طراز قديم، أثر نفسي مدمّر في جميع أنحاء شمال إسرائيل، وهو ما أتاح لحزب الله فرض ردود عكسية رادعة وملحوظة في أعقاب الحرب. وعلى الرغم من تورّط حزب الله اللبناني الشديد في سوريا؛ إذ عملت معظم عناصره على إيقاف المدّ الثوري المناهض للنظام منذ عام ٢٠١٣م، إلا أن جناحه العسكري لا يزال يمثّل تهديداً مُقلقاً لإسرائيل؛ لذلك فحتى مع التقارب المؤقت بين روسيا وإيران، الذي من شأنه إيجاد حالة من عدم الارتياح في سياق انتشار الأسلحة الروسية، وتزويد طهران بها، التي ينتهي بها المطاف في لبنان، فإن ما يزيد من هذا القلق أيضاً هو ما يتعلّق بالأسلحة الموجّهة حصرياً إلى إيران.

- كيفية التعامل مع إيران:

تمّ تسليم صواريخ أرض- جو SAM روسية الصنع إلى إيران عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦م من أجل تشديد جيوب الدفاع عن المنشآت النووية الايرانية ضد الهجمات الجوية المحتملة. وعلى الرغم من الاحتواء المشروط لتفادي إنتاج سلاح نووي إيراني عن طريق الاتفاق النووي الإيراني الذي تمّ بوساطة دولية عام ٢٠١٥م إلا أن هذه المسألة لا تزال حالياً نقطة خلاف أساسية لدى تل أبيب. ويعود استمرار العداء بين إسرائيل وإيران بشكل كبير إلى إدراك أنه من المُستبعد أن تقوم إيران -على الرغم من تزايد التطور التقني لديها- ببناء برنامج مستقلّ للصواريخ الباليستية البعيدة المدى، فضلاً عن التوسّع في هذا المشروع. ومع أن هذا الأمر قد يبدو مطمئناً لخصومها للوهلة الأولى إلا أنه يعني أيضاً أنه من المرجّح أن تستمر إيران في سعيها الحثيث وراء الحلفاء الإقليميين ممّن هم على استعداد لتوفير الإمدادات اللازمة من معدات ومكوّنات رئيسة وصيانتها. وقد تمكّنت إيران بفضل القدرات الهندسية المتطورة، وبعد حصولها على تصميمات للصواريخ من الاتحاد السوفييتي، وكوريا الشمالية، وليبيا سابقاً التي كانت حتى الإطاحة بالقذافي ثاني شريك إستراتيجي لروسيا والأكثر أهميةً في الشرق الأوسط، من الاستغناء عن اعتمادها على الخبرات الأجنبية بشكل مبتكر لتوسيع ترسانتها الخاصة[٣٩]. ومع أن امتلاك إيران السلاح النووي بشكل تامّ قد يستغرق

(39) See: Michael Elleman, Iran's Ballistic Missile Program, United States Institute of Peace – The Iran Primer, United States Institute of Peace.

نحو ١٥ عاماً من الآن -على افتراض أن هذا الأمر سيكون خياراً مقبولاً للقيادة الإيرانية- إلا أن التقارب الروسي الإيراني المستمر لإدارة الأزمات الإقليمية، ومنها الأزمة السورية التي تعدّ شكلاً من أشكال تقاسم الأعباء القائم بالفعل، يُثير قلق الإسرائيليين الذين يخشون من تحديث مخزونات الصواريخ الإيرانية الحالية وتزويدها برؤوس نووية. ومن المؤكّد أن المخاوف الإسرائيلية تنبع تحديداً من خطر الإبادة؛ فالانتقام النووي الهائل بوصفه ملاذاً أخيراً في السياق الإسرائيلي دخل الخطاب العالمي، ويعود الفضل الأكبر في ذلك إلى أفنير كوهين، الذي وصف ذلك بـ«خيار شمشون، أو التعتيم النووي»[٤٠]. ويساهم أسطول إسرائيل المتزايد من غوّاصات الدولفين في تعزيز الانطباع بأن إسرائيل تمتلك القدرة الأكيدة على توجيه الضربة الثانية؛ لذلك فهي تمتلك قدرات ردع مطلقة. كما أن الرؤى النظرية فيما يخصّ آثار (الشكوك) داخل المشهد التنافسي للقوى الإقليمية تشير إلى أن الخطاب الإيراني قد يُعجّل أولاً، ثم يدفع ثانياً، إلى سباق تسلّح يشمل مختلف البلدان، ويمكن حينئذٍ للمساعي الرامية إلى بناء قدرات نووية -إلى جانب تزايد أعداد حاملات الصواريخ الباليستية المتوسطة والطويلة المدى- أن تعوق الجهود الحالية التي تهدف إلى منع انتشار السلاح النووي، وهو ما يزيد من تعكير صفو المنطقة كلها، خصوصاً تقويض سياسة إسرائيل الرسمية التي لا تعترف ولا تُنكر امتلاكها أسلحة نووية إذا وضعت على المحكّ.

الخاتمة

بينما ازداد العداء بين إسرائيل وإيران على مرّ الزمن لم تُغلق روسيا في عهد الرئيس بوتين الأبواب أمام دعم روسيا التاريخي لسوريا ونظام الأسد أو إيران، مع إبقائها على التعاون الفاعل مع إسرائيل، بل على العكس من ذلك تتنقّل السياسة الخارجية في الكرملين بتناغمٍ ومرونةٍ عبر التحديات الجيوسياسية الحالية من دون استعداء أيٍّ من شركائها. ولتوضيح هذه النقطة يمكننا من خلال استنتاج المواقف الخاصة بطهران وموسكو القول بأنه لا يوجد حالياً أيّ بديل ذي مصداقية لنظام الأسد يستطيع الحفاظ

(40) Avner Cohen, "Israel and the Bomb (New York: Columbia University Press, 1999) Also see: Cohen's most recent work dealing with Israel's nuclear project, *The Worst -Kept Secret: Israel's Bargain with the Bomb* (New York: Columbia University Press, 2010).

على الحد الأدنى من الحكم في هذا البلد الذي مزّقته الحرب؛ فمن وجهة نظرهما: قد يتسبّب سقوط الأسد في قيام الجهات الفاعلة الأخرى؛ مثل: تركيا، أو ائتلاف ما من الدول العربية السنية، في ملء فراغ السلطة على حساب النفوذ الروسي. كما تمكّنت روسيا في أثناء سعيها إلى تعزيز مكانتها العسكرية في الأوقات العصيبة خلال العام الماضي من تأكيد وجودها وحضور قواتها البحرية بشكل كبير في منطقة البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود، وبحر قزوين، ومنحها ذلك نفوذاً هائلاً من دون منازع، وجعلها تؤدي دور حارس البوابة في مجالات النفوذ التركية السنية والإيرانية. وترجع أسباب المحافظة على الأصول الإستراتيجية والشركاء في جميع المجالات من تل أبيب إلى طهران -إلى حدٍّ ما- إلى سعي روسيا الحثيث إلى استعادة مكانتها الدولية، وهو ما يُتيح لها أن تكون على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الأمريكية، والعمل وسيطاً في التعامل مع الحرب الأهلية السورية وصراعاتها المتشابكة، مثل الحرب ضد تنظيم داعش، كما تعمل أيضاً وسيطاً بين العالم العربي وإسرائيل عندما يتعلّق الأمر بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي لا يزال مستعصياً على الحلّ. وعلى أيّ حالٍ، تدلّ الروابط الإسرائيلية الروسية العملية على أن إسرائيل استطاعت بطريقةٍ أو بأخرى التوصّل إلى تفاهم حيال الوجود الروسي في سوريا؛ فقد يكون صحيحاً أن تمضي روسيا قُدُماً على المدى القصير في مساعدتها إيران على تحقيق مكاسب على الأرض في بلاد الشام، لكن الوجود العسكري الروسي يمثّل أيضاً حاجزاً وقائياً إلى حدٍّ ما أكثر واقعيةً واستيعاباً للجهات الفاعلة من الأطراف غير الدولية التي قد تهدّد الوضع المضطرب أصلاً على امتداد الحدود الاسرائيلية السورية. وبسبب أهمية الدور الذي يؤدّيه الصراع السوري لإسرائيل وروسيا على حدٍّ سواء فإن الرؤى النظرية المبيَّنة أعلاه تظهر أهميتها؛ فكلا البلدين يسعى إلى المنافسة، وتعزيز موقفه في المنطقة، والانخراط في تعاون محدود لكنه فاعل في الوقت ذاته، ومحاولة وقف تآكل وانهيار الحكم في الدولة المركزية في المقام الأول. وتستند هذه الأنشطة إلى علاقات فريدة بين الدول من حيث التكوين الديني والعرقي، وكيفية ترجمة هذا الوضع من خلال عملية صنع القرار، خصوصاً على المستوى المحلي، وغالباً ما ترتبط هذه الأساليب العملية المثيرة للجدل بين البلدين بسياسات (القبضة الحديدية) التي يتبعها بوتين ونتنياهو، وتُترجم إلى خليط متميّز من التجانس المحلي، وحشد الطاقات المرتكز على مبدأ القيادة، والممتزج بالجرأة العسكرية، مع السعي المستمر إلى تحقيق الأمن.

نبذة عن الكاتب

سيباستيان ماير

باحث مقيم في إدارة البحوث بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. حصل على شهادة البكالوريوس عام ٢٠١٣م في مجال العلوم السياسية والقانون من جامعة ميونخ ومعهد العلوم السياسية في باريس، ونال في يناير عام ٢٠١٥م درجة الماجستير في علوم الاستخبارات والأمن الدولي من قسم دراسات الحرب في جامعة كينجز كوليدج لندن. عمل متدرّباً في السفارة الكندية في ألمانيا، ومستشاراً للشؤون الاقتصادية في مكتب العلاقات الألمانية-السعودية بالرياض قبل انضمامه إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وهو يعيش في المملكة العربية السعودية منذ فبراير عام ٢٠١٥م، ويعمل في إدارة البحوث على مشروع الصراع في سوريا، وتدخّل روسيا وإيران وحزب الله في سوريا.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، والعمل بوابةً وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدّم المركز تحليلات متعمّقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية، ودراسات شمال إفريقيا والمغرب العربي، والدراسات الإيرانية والآسيوية، ودراسات الطاقة، ودراسات اللغة العربية والحداثة. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

P.O.Box 51049 Riyadh 11543 **Kingdom of Saudi Arabia**
Tel: (+966 11) 4652255 Ext: 8692 Fax: (+966 11) 4577611
E-mail: research@kfcris.com